



+ آباؤنا القديسون

الشهيدان كبريانوس ويوستينا البتول

تُعِيد الكنيسة المقدسة في الثاني من تشرين الأول لتذكار الشهيدان كبريانوس (مشرق) الكاهن ويوستينا البتول. وقد تعرّف كبريانوس إلى المسيحية بواسطة هذه البتول وترك السحر، بعد أن كان منغمساً في الشعوذة، وصار خادماً للرب الأوحد.

عاش كبريانوس في القرن الثاني في مدينة إنطاكية، وكان مولوداً في عائلة وثنية غنية جداً. تميّز منذ صغره بذكاء حاد، فاهتم أهله أن يكتسب ما تيسر من علوم الدنيا، كما ربّاه على خدمة الآلهة الوثنية.

انجذب كبريانوس إلى علم السحر فتوغل فيه حتى انه فاق الجميع في معرفة أسرار السحر والشعوذات، وصار الناس يتقاطرون إليه من كل صوب لكي يؤدي لهم خدمات محددة أو للتوسط مع الشياطين وأذية بعض الناس.

قصد بغداد وهو في الثلاثين من عمره لاكتساب خيرات الكلدانيين في هذا المجال، ولم يدع أي كتاب يختص بالسحر إلا وقرأه. ويقال انه كان يقتل الأطفال والرجال ليقدم دماءهم ذبيحة للآلهة الوثنية والشياطين. ولم يكن يدع مناسبة دون أن يستغلّها للسخرية من ديانة المسيحيين، رغم تنبيهات صديقه الحميم أوسايوس المسيحي، لكنه لم يكن يصغي لنصائحه وظل منغمساً في الخطيئة وأذية الآخرين.

الإرادة الإلهية كانت تشاء غير ذلك لكبريانوس. فالله يريد «ان الجميع يخلصوا وإلى معرفة الحق يقبلوا». فقد كان في إنطاكية عذراء بتول اسمها يوستينا. هذه اهتمت إلى المسيحية في صباها بعد أن كانت وثنية، كما انها هدت إلى الإيمان القويم والدها. وكانت يوستينا فائقة الجمال إلا انها نذرت نفسها للختن السماوي يسوع، وعاشت في العفة وحياة الصلاة والصوم، وبحسب وصايا الرب. ملجأها الوحيد كانت سلطنة العذارى والبتولات والدة الإله مريم. فقد كانت دائمة التضرع إلى العذراء مريم لكي تستمد لها من يسوع نعمة الانتصار على كل التجارب ونعمة المحافظة على نذر نفسها للرب. ويحكى ان شخصاً إنطاكياً طلبها للزواج فصدته رغم محاولاته الكثيرة، فالتجأ أخيراً إلى كبريانوس الساحر ليساعده على إغواء تلك العذراء. بذل كبريانوس كل جهده وسخر كل معرفته



+ آباؤنا القديسون

لمساعدة هذا الشاب، إلا ان جميع جهوده باءت بالفشل، حتى ان الشياطين التي كان يستعين بها أقرت انها لا تستطيع شيئاً أمام المسيحيين الذين يضعون رجاءهم على يسوع من كل قلوبهم. هذا الأمر دفعه إلى التفكير بضرورة التعرف على إله المسيحيين الذي أظهر كذب صناعة السحر وضعف قوة الشياطين التي كان مستعبداً لهم، خاصة بعدما انكشف له عظم قدرة هذا الإله. وهكذا اهتدى كبريانوس إلى الرب يسوع المسيح.

ابتدأ كبريانوس بالتفكير في حياته الماضية وكاد يصل إلى حالة اليأس والإحباط خوفاً من أن لا يقبل الله توبته. فهداه الله إلى رجل اسمه تيموثاوس شدده وشجعه على المضي في توبته. أول ما قام به كبريانوس انه اعترف علانية بخطاياهم أمام جميع من سبب لهم الشكوك سابقاً، موضحاً الغش والخداع الذي كان يمارسه معهم. كما حرق كل كتبه أمام الجميع وأعلن إيمانه بيسوع وبدء حياة التوبة والتقشفات تكفيراً عن أعماله السابقة. كذلك وزع أمواله على الفقراء والمساكين، وكان كلمة تفكر في مآثمه السابقة، ينطرح أرضاً، يمرغ وجهه في التراب، ذارفاً الدموع على أفعاله الشنيعة.

رغم كل هذا ظل كبريانوس يشك في رحمة الله وغفرانه، إلى ان التقى بصديقه القديم أوسابيوس الذي حدثه عن كون الله أميناً في مواعيده وانه لا يرذل القلب المتخشع والمتواضع، وانه مهما كثرت خطايا الإنسان فإن رحمة الله تفوق كل شيء إذا عاد الإنسان بقلب صادق. وأورد له الأمثلة الإنجيلية حيث قبل يسوع توبة الخطاة.

تعزى كبريانوس كثيراً وتشدد وقرّر الانخراط في عداد الموعوظين. اصطحبه أوسابيوس إلى أسقف المدينة فاستعد بالتعليم والسيره الحسنة واقتبل سر المعمودية بعد حين.

علمت يوستينا بأمر كبريانوس فشكرت الله بفرح على عظمته، وقصت شعرها تعبيراً عن شكرها لله، كما باعت أملاكها ووزعت ثمنها على الفقراء، وبقيت مواظبة على حفظ طهارة بتوليتها. أما كبريانوس فكان يتقدم في النعمة يوماً بعد يوم، حتى قال عنه القديس غريغوريوس اللاهوتي انه فاق الكثيرين ممن كانوا قبله في طريق الكمال.

لاحظ أسقف إنطاكية عظم غيرة كبريانوس ومحبه للرب فاختره لكي يكون كاهناً. اقتبل كبريانوس الكهنوت مضاعفاً غيرته نحو مجد الله، فكان خيراً راعٍ لرعيته واقتاد الكثيرين نحو الخلاص بعد أن كان يقودهم في القديس.



+ آباؤنا القديسون

لما حدث الإضطهاد الكبير على زمن الإمبراطور ديوكليسيانوس عام ٣٠٤، قُبض على كبريانوس ويوستينا وأحضرا أمام والي إنطاكية الذي أمر بجلد يوستينا وتعليق كبريانوس في الهواء وسلخ جلده لأهما رفضا السجود للوثن واعترفا علناً بإيمانهما المسيحي. ألقاهما في جرن مليء بالشمع والزفت المحمى على النار، لكن الله أنقذهما من الموت. أخيراً أرسلهما الوالي إلى الإمبراطور الذي كان موجوداً حينها في نيقوميديّة. أحضرا أمام الإمبراطور ولم ينفكا عن الاعتراف بالرب يسوع. عندها أمر الإمبراطور بقطع رأسيهما، فنالا إكليل الشهادة معاً وصارا من عداد أبناء الملكوت. فبشفاعتهم ألهم ارحمنا وخلصنا آمين.